مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية ISSN :2353 - 0499
المجلد2 ، العدد3، (جوان 2014) EISSN :2602 -5264

التصور التجريبي للفلسفة عند دافيد هيوم

د. سليمة قايد
أستاذة بالمدرسة العليا للأساتذة
بوزريعة الجزائر

Résumé de l'article :

Les anciens philosophes ont conçu la philosophie comme science de l'être en tant qu'être, c'est-à-dire comme métaphysique en premier lieu. Et c'est pour cela qu'ils l'ont définie comme une science première, absolue, universelle, et fondatrice de toutes les autres sciences, bien plus elle était la reine de toute les sciences. Mais Hume se révolta contre cette conception, en essayant d'élaborer une nouvelle conception de la philosophie, et ça en s'appuyant sur son empirisme, qui était un empirisme radical, et de son refus de la métaphysique. Pour lui, la philosophie doit devenir dans le futur, **une science de la nature humaine**, et l'objet unique qu'elle étudie c'est la nature humaine, qui n'est pas restreinte à la raison seulement, mais s'étend à toute les actes que l'homme accomplit dans la vie, comme les passions, les imaginations, les croyances, les fantasmes, et les comportements. Et la méthode que suit Hume dans sa nouvelle science est la méthode expérimentale, newtonienne surtout, car il était très influencé par Newton, et inspiré par lui, il voulait être le Newton de la philosophie. D'autre part, la science de la nature humaine se divise en quatre parties ; la logique -ou théorie de la connaissance- la morale, la critique -ou l'esthétique- et la politique.

La fin suprême du projet humien, est que la philosophie s'élève au rang de la vraie science, et devienne une science comme les autres, c'est-à-dire une science objective exacte, lointe des problèmes métaphysiques absurdes et vides de tout sens. Enfin, on peut dire que les plus importants caractéristiques de la science de la nature humaine, telle que l'a conçu Hume lui-même, est qu'elle est une science théorique et pratique en même temps, une science expérimentale, positive, systématique, anti- métaphysique, critique, et finalement sceptique. Et cette conception toute spéciale a jouer un rôle décisif dans l'histoire de la philosophie moderne et contemporaine aussi, parce qu'elle a inspiré tant de philosophes tel que Kant, Comte, Husserl... Et Hume a contribué fortement dans la destruction de l'ancienne conception de la philosophie -synonyme à métaphysique- et à

المنارة للاستشارات

l'établissement de la nouvelle conception, qui va réapparaitre très clairement chez les néo-positivistes, je veux dire la philosophie comme science positive, ou ce qu'on appelle la scientificité de la philosophie.

Les mots clés :

La nature humaine, La science de la nature humaine, Les principes de la nature humaine, L'expérience, La méthode expérimentale, L'empirisme radical, Science positive, La conception empiriste de la philosophie, La théorie de la connaissance, Le scepticisme, La métaphysique, La méthode newtonienne, Anti- métaphysique, La philosophie naturelle, La philosophie morale, Les hypothèses.

تمهيد:

عُرفت الفلسفة منذ نشأتها بأنها علم مجرد تماما، ذلك أنها تدرس موضوعا مجردا محضا، هو ما وراء أو ما بعد الطبيعة، وتعتمد أثناء دراستها له على التأمل العقلي فقط، ولا تأبه بالتجربة مطلقا،وهذا ضروري في الحقيقة لأن موضوعهايتجاوز دائرة الحس والمحسوس. وظل هذا التصور العقلي الخالص للفلسفة سائدا من الفلسفة اليونانية إلى بدايات الفلسفة الحديثة.

لكن مفهوم الفلسفة سيشهد ثورة حقيقية وكاملة بمجئالفيلسوف الانجليزي دافيد هيوم (1711-1776)David Hume، الذي سيُقدم تعريفا جديدا تماما ومختلفا بالكلية عن كل التعريفات التي وضعها الفلاسفة السابقون له، فيخرج بها من التصور العقلي الخالص إلى تصور تجريبي محض، حيث إنه يطمح إلىجعل الفلسفة علما تجريبيا بحتا مثل الفيزياء، وباقي العلوم الطبيعية الأخرى.

لكننا إذا تمعنا في هذا التصور جيدا، سنجد فيه مفارقة كبيرة، لأنه يتناقض صراحة مع طبيعة الفلسفة.لذلك سنحاول في هذه المقالة المتواضعة تسليط الضوء على مفهوم هيوم للفلسفة، من خلال طرح الإشكالية التالية: ما هو التصور التجريبي للفلسفة عند هيوم؟ ثم ألن يؤدي هذا التصور إلى تهديم البحث الفلسفي من أصوله، نظرا لتناقضه الصارخ مع ماهية هذا العلم الماورائي، العقلي والتأملي؟

المنهج الجديد للفلسفة:

المنارة للاستشارات

إن التصور الجديد للفلسفة الذي جاء به هيوم، نابع في الأساس من إرادته تطبيق المنهج التجريبي في مجال الفلسفة، حيث إنه عارض بقوة ديكارت (1596-1650) René Descartes وأتباعه العقلانيين الذين تصوروا أن المنهج الرياضي هو أنسب منهج للفلسفة. وجاء بفكرة جديدة ومناقضة لهمتماما، فطمح إلى تطبيق المنهج الفيزيائيعلى الفلسفة. صحيح أنه لم يكن فيزيائيا، لكنه كان متأثرا بفيزيائي كبير جدا، أو بالأحرى أكبر فيزيائي في العصر الحديث، وهو مواطنه نيوتن (1642-1727) Isaac Newton. حيث انبهر هيوم بالفيزياء النيوتونية وبمنهجها التجريبي، واعتبرها النموذج العلمي الذي يجب على جميع العلوم إتباعه والاقتداء به، بما في ذلك الفلسفة نفسها، لأن تطبيق المنهج الفيزيائي هو الضامن الوحيد في نظره لعلمية الفلسفة، ومن ثم دقة وموضوعية نتائجها."مشروع هيوم.... جديد ليس فقط بموضوعه، ولكن أيضا بفكرة العلم الذي يُوظَّف كنموذج له، فهو لم يعد الرياضيات التي تتطابق معها الفلسفة من حيث كونها رياضيات كلية (mathesis)، ولكنه الفلسفة التجريبية للطبيعة لنيوتن. هذه الأخيرة هي واقع، ونموذج للعلمية."[1]

وسيُختصر المشروع الفلسفي لهيوم إذن في نقل المنهج التجريبي من الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة الأخلاقية. " إلا أن مثل هذا المشروع لا معنى له إلا على أساس نموذج ومنهج يضمنان له طموحه في العلمية، وسيكون ذلك هو نموذجالفلسفة الطبيعية لنيوتن ومنهجه التجريبي في الاستدلال والمنقول إلى المواضيع الأخلاقية." [2]

وقد طمح هيوم بذلك إلى أن يكون نيوتن الفلسفة الأخلاقية، ويظهر ذلك بوضوح في العنوان الفرعي لكتاب **رسالة في الطبيعة البشرية**، وهو "إدخال المنهج التجريبي إلى المسائل الأخلاقية".حيث أراد أن يقوم في مجال الفلسفة الأخلاقية بثورة مناظرة لتلك التي قام بها مواطنه في مجال الفلسفة الطبيعية. وتكمن هذه الثورة بالضبط في الارتقاء بالفلسفة إلى مستوى العلم الحقيقي، أي العلم الموضوعي والدقيق، وليس العلم اليقيني، لأن اليقين غاية مستحيلة البلوغ بالنسبة إلى عقل الإنسان الضعيف جدا، كما سيُبينه هيوم فيما بعد، وعلى الإنسان أن يكتفي بالدقة في علومه، فهي أقصى ما يمكنه تحقيقة، وذلك بشرط واحد ووحيد هو إتباع التجربة."الدقة هي ثورة علمية، لأنها أولا وقبل كل شيء الثورةالتي تتعلق بالتجربة."[3]

ومن متطلبات المنهج التجريبي رفض استخدام الفرضيات في تفسير الوقائع، والالتزام بالملاحظة والتجربة فقط، وهو ما يفعله هيوم بكل حزم، وقد تلقى هذا الدرس المنهجي

المنارة للاستشارات

أيضا من نيوتن."رفض نيوتن لمبدأ الفرضيات يُناظره عنده الموقف التجريبي، نحن لا نبدأ بتخيل كيف يمكن أن تكون الأشياء"[4] ولكن بملاحظة كيف هي فعلا في الواقع.

وأكبر فائدة سيجنيها الفيلسوف بتجنبه الفرضيات هو ابتعاده عن الأوهام، ذلك أن هيوم يؤكد أن كل القضايا التي لا تُستخلص من التجربة فهي عبارة عن أوهام باطلة وعديمة الجدوى، ويجب على الفلسفة أن تتخلى عنها نهائيا وبسرعة.

2- الموضوع الجديد للفلسفة:

إذا كان هيوم يشترط على الفلسفة أن تسلك المنهج التجريبي، فهذا الأمر مرهون بطبيعة الحال بأن يقبل موضوع الفلسفة هو نفسه هذا التطبيق، وهذا ما لا يتوفر في الموضوع القديم للفلسفة، سواء كان الوجود العام والمجرد، أو الله، أو المبادئ الأولى للمعرفة، لأنها مواضيع ميتافيزيقية يستحيل التجريب عليها. وهذا بالضبط ما دفع بهيوم إلى ضرورة البحث عن موضوع جديد للفلسفة يتوفر فيه شرط التجريب، ووجد هذا الموضوع في **الإنسان**، فأصبحت الفلسفة معه هي "علم الإنسان"[5]، أو كما يُفضل أن يسميه "علم الطبيعة البشرية"[6](La Science de la nature humaine)، وإن كان يطلق عليه أحيانا اسم "الفلسفة الأخلاقية."[7]

تنقسم الطبيعة عند هيوم إلى قسمين لا ثالث لهما، هما الطبيعة المادية والطبيعة البشرية. تكمن الطبيعة المادية في عالم الأجسام، وقد تكفل نيوتن ومن خلال عبقريته بدراسة هذا العالم على الوجه الأكمل، بحيث إنه لم يترك للعلماء ما يمكنهم أن يضيفوه إليه. إذ يعتقد هيوم أن نيوتن نجح في بناء فيزياء شاملة وكاملة، استطاعت أن تكتشف قوانين العالم المادي. أما القسم الثاني من الطبيعة فهو الطبيعة البشرية أي عالم الإنسان، وبالرغم من أهميته إلا أنه لم يسترعي إليه اهتمام الفلاسفة بالقدر الكافي، فهو يعاني الإهمال الكبير، وحان الوقت للالتفات إليه ودراسته بجدية وعمق، وهذه هي المهمة التي سينذر هيوم نفسه لها.

وبناء على ما سبق سيظهر لنا أن المشروع الفلسفي لهيوم يتلخص في تطبيق المنهج التجريبي على الطبيعة البشرية. والحقيقة أن هيوم مقتنع تماما أنه لا يوجد أمامنا طريق آخر لمعرفة الطبيعة البشرية سوى الملاحظة والتجربة. يقول هيوم: "الإنسان كائن نعرفه بالتجربة."[8]. وسيتحقق بذلك حلمه في أنتصبح الفلسفة علما تجريبيا حقا. "هذا العلم تجريبي حقا، فهو لا يعرف الطبيعة البشريةسوى من خلال التجربة، ويهدف إلى تفسيرها وليس إلى تبريرها".[9]

المنارة للاستشارات

والغاية التي يصبو إليها هيوم من خلال هذه الدراسة هي اكتشاف مبادئ الطبيعة البشرية. "يتعلق الأمر بتكوين مفهوم عن قدرات وخصائص الطبيعةالبشرية."[10] ويجب على الفيلسوف أن يستنتج هذه المبادئ من التجربة فقط، ولا يلجأ إلى التخمين والافتراض مطلقا. "تكون المبادئ الأولى للطبيعة البشرية مُستنتجةتجريبيا."[11]

يرى هيوم أن الطبيعة البشرية تملك بعض الخصائص العامة والكلية، والتي يسميها مبادئ الطبيعة البشرية، وهي نوعان مبادئ نظرية متعلقة بالفهم والتفكير، وأخرى عملية متعلقة بالفعل والسلوك، ومُهمة الفلسفة هي استخلاص هذه المبادئ عن طريق التجربة. "ستكون مبادئ الطبيعة البشرية هي المبادئ العامةالمُستخلصة من تحليل السلوكات الإنسانية، سواء كانت هذه المبادئ نظرية أو عملية". [12]

لا ينكر هيوم أبدا الفوارق الفردية بين الناس، بل يعرفها جيدا ويؤكد عليها، لكنه يعترف من جهة أخرى بأن هذه الفوارق لا تمنع مطلقا من وجود بعض القواسم المشتركة بينهم، والتي تتلخص في الطبيعة البشرية الواحدة الموجودة عندهم جميعا، وتتألف هذه الطبيعة من مجموعة من المبادئ العامة والمشتركة بينهم كلهم، وهذه هي بالضبط المبادئ التي يسعى هيوم لاكتشافها في علم الطبيعة البشرية."توجد طبيعة بشرية، توجد عند كل الناس خصائص متشابهة،بكثير أو قليل من الوضوح من شخص إلى آخر، وهذه الخصائص هي التي يحلو لهيوم تحديدها."[13]

من جهة أخرى يؤكد هيوم على أن الطبيعة البشرية لا تقتصر على العقل وحده، أو حتى على الفكر في معناه الواسع كما كان الحال عند العقلانيين، بالعكس الطبيعة البشرية عنده واسعة جدا فهي تشمل جانبا عاقلا فينا هو العقل، لكنها تشمل معه أيضا جانبا غير عاقل فينا، والذي يكمن في الانفعالات—خصوصا- والعادات والاعتقادات والربط والمخيلة، "لكن الطبيعة البشرية ليست الفهم البشري، إنها تمتد إلى أبعد بكثير من نقاء العمليات التصورية والمعرفية للفكر. وتشهد مواضيع المخيلة والانفعالات والربط والعادة والاعتقاد، بأن الطبيعة البشريةمصنوعة من الانفعالات أكثر مما هي مصنوعة من العقل."[14]

ويُبين هيوم أن الجانب العاقل فينا هو جزء صغير جدا من طبيعتنا البشرية، في حين أن الجانب اللاعاقل هو الجزء الأكبر منها. والأهم من كل ذلك أن الجانب اللاعاقل -خاصة الانفعالي منه- يتحكم في الجانب العاقل، الذي يكون تابعا وخاضعا له دائما وأبدا. "ليس

المنارة للاستشارات

العقل إلا عبدا للانفعالات، ولا يمكنه أن يكون غير ذلك، ولا يمكنه أن يدعي أن له دور آخر سوى دور خدمتها وطاعتها."[15]

ولأجل كل هذا يدرس هيوم في علم الطبيعة البشرية جميع النشاطات الإنسانية سواء كانت ذهنية أو نفسية أو أخلاقية أو أدبية أو سياسية أو اقتصادية...الخ.

3- أقسام علم الطبيعة البشرية:

واضح من الشرح الذي سبق أن علم الطبيعة البشرية هو علم جد معقد، ويتضمن في طياته علوم جزئية كثيرة. "إلا أننا عندما نبحث عن تعريف أفضل لهذا العلم، فإنه سينحل إلى علم جزئية يدرس كل واحد منها جانبا منالسلوك."[16]ولأجل ذلك عمد هيوم إلى تقسيمه إلى أجزاء وهي أربعة، "المنطق، الأخلاق، النقد والسياسة."[17]

يقصد هيوم بالمنطق نظرية المعرفة، حيث يدرس المنطق **الفهم البشري**، أي نظرية تكوين الأفكار داخل الفهم.أما النقد عند هيوم فالمقصود به النقد الأدبي، وهو مرادف لعلم الجمال اليوم، ويدرس أذواق الناس. تدرس الأخلاق السلوكات الإنسانية على مستوى الفرد، وموضوعها الرئيسي هو الفضائل والرذائل. بينما تدرس السياسة علاقات الناس فيما بينهم، عندما يعيشون مع بعض داخل المجتمع، سواء كانت علاقات الرعية فيما بينهم أو علاقات الحاكم ورعيته، وموضوعها الأساسي هو العدالة. "الغاية الوحيدة للمنطق هي تفسير مبادئ وعمليات ملكاتنا في التفكير وطبيعة الأفكار، تتفحص الأخلاق والنقد أذواقنا ومشاعرنا، وتنظر السياسة في الناس من حيث كونهم مجتمعين في مجتمع ويرتبطون بعضهم ببعض. يندرج في هذه العلوم الأربعة وهي المنطق، الأخلاق، النقد والسياسة يندرج بالتقريب كل ما ينبغي علينا معرفته بوجه ما، أو كل ما يمكن أن يميل إلى إكمال أو تحسين العقل الإنساني."[18].

4- خصائص علم الطبيعة البشرية:

يتميز علم الطبيعة البشرية بمجموعة من الخصائص أهمها أنه علم نظري وعملي في الوقت نفسه، تجريبي، وضعي،نسقيّوكلي، نقدي وشكي.

أ- هو علم نظري وعملي:

المنارة للاستشارات

ISSN :2353 - 0499
EISSN :2602 -5264

لإنسان كائن معقد جدا، لأنهلا يقتصر على جانب واحد بل هو متعدد الجوانب. أولا توجد في الإنسان نشاطات داخلية وأخرى خارجية، وتبعا لذلك ينقسم علم الطبيعة البشرية إلى قسمين قسم نظري وآخر عملي. "والأهم هو أن هذا العلم ليس نظريا فقط، بل هو عملي أيضا." [19]

يدرس القسم النظري من علم الطبيعة البشرية النشاطات الداخلية للإنسان وهي قسمان كبيرا هما النشاطات الذهنية والنشاطات النفسية، أو الفهم والانفعالات -أي المشاعر- "تتكوّن الطبيعة البشرية من جزأين أساسيين وضروريين لكل أفعالها،وهما المشاعر (Les affections) والفهم".[20]

النشاطات الذهنية هي تلك المتعلقة بالمعرفة كالإحساس والتفكير والتذكر والتخيل والاعتقاد...، وأطلق على هذا القسم من علم الطبيعة البشرية اسم المنطق، ويسميه شُراحه "نظرية الفهم"، وهو ببساطة نظريته في المعرفة.أما النشاطات النفسية فتكمن في المشاعر والعواطف كالفرح والحزن والخوف والأمل والمحبة والكراهية والذوق واللذة والألم...وأطلق على هذا الجزء من علم الطبيعة البشريةاسم نظرية الانفعالات، وهو ما يسميه شُراحه "علم نفس المشاعر."[21]

تكمن النشاطات الخارجية للإنسان في كل الأفعال والسلوكات التي يقوم بها في الخارج، سواء في مستواه كفرد أو في علاقته بالآخرين داخل المجتمع، ومن ثم فهي جميع السلوكات الأخلاقية الاجتماعية،وكذا النشاطات الاقتصادية والسياسية والثقافية والفنية والأدبية. ويرى هيوم أنه يجب على علم الطبيعة البشرية أن يدرسها كلها دون استثناء، "مشروعه الصريح هو بناءعلم للطبيعة البشرية ينظر في الأفعال والسلوكاتالاجتماعية والأخلاقية وفي التاريخ والاقتصادوالسياسة".[22] ولأجل ذلك ينقسم هذا العلم في جانبه العملي إلى علم الأخلاق وعلم الجمال -التجريبي- وعلم الاجتماع وعلم السياسة وعلم الاقتصاد وعلم التاريخ.

صحيح أن هيوم قد قسّم في مقدمة **الرسالة** علم الطبيعة البشرية إلى أربعة أقسام هي: المنطق والأخلاق والنقد والسياسة، لكن هذا التقسيم جد عام وجد غامض، لأنه لا يُبين كل الأجزاء التي يتضمنها علم الطبيعة البشرية بالحقيقة وبالتفصيل، لأن بعض العلوم تتضمن في طياتها علوم فرعية لم تُذكر بشكل متميز ومنفرد، فعلم السياسة مثلا يتضمن علم الاقتصاد، ولم يكن هذا العلم قد تكوّن بعد كعلم مستقل بذاته. والمنطق مثلا يتضمن علم النفس، حيث يتناول هيوم مشكلة المعرفة من جانبين، جانب ابستمولوجي، وهذا

المنارة للاستشارات

هو على وجه التحديد المنطق، وجانب سيكولوجي، وهذا الجانب بالذات هو الذي يرتبط بقوة بعلم النفس، لأنه يشكل ما يُعرف عنده بعلم نفس الأفكار أو علم نفس المعرفة، وهو يشرح تكوين الأفكار انطلاقا من الانطباعات، وسيركز هيوم في تحليله على الجانب الثاني أكثر من الأول.

ب- هو علم تجريبي:

أشرنا سابقا إلى أن علم الطبيعة البشرية هو علم تجريبي، لأنه يسعى لإتباع التجريبي في كل واحد من قضاياه، لكننا لم نتوقف عند مشكلةإمكانية تطبيق هذا المنهج في الفلسفة، لأن الأمر لم يعد يتعلق بموضوع مادي تسهل إقامة التجارب عليه، كما هو حال موضوع الفيزياء، بل يتعلق بالإنسان الذي يبدو من الصعب جدا، إن لم يكن من المستحيل التجريب عليه. وهذه أول وأكبر صعوبة منهجية يواجهها علم الطبيعة البشرية"تعود الصعوبة الأولى إلى كون موضوع الفكر مُعقد جدا وبطريقة مختلفة عن الموضوع الذي تتعامل معه الفلسفة الطبيعية." [23]

وحتى يتمكن هيوم من تطبيق المنهج التجريبي الذي استعاره من نيوتن على علم الطبيعة البشرية، كان لا بد له من أن يُكيفه مع خصوصية هذا العلم، أي خصوصية الموضوع الذي يدرسه وهو الإنسان في مختلف جوانبه ونشاطاته، وهو بالضبط ما يفعله هيوم. فعندما يتعلق الأمر بالنشاطات الداخلية للإنسان، سيسلك هيوم في دراستها منهج الوصف والاستبطان، وذلك "من خلال تحليل للأفكار، مُقسم بين الاستبطان وعلم النفس، وملاحظة التصرفات، مع بعض المنطق".[24]

حيث يبدأ هيوم بملاحظة طريقة تفكير الناس وطريقة انفعالهم، ليلجأ إلى وصفهم بعد ذلك، وهذا من خلال علم نفس تجريبي كان من أوائل المبادرين إلى تأسيسه، "لن يكون لفكرة الطبيعة البشرية معنى إلا في ظل شروط التجربة والملاحظة. الطريقة الوحيدة لمعرفة ما الذي يحسه الناس ويفكرون فيه وكيف يسلكونويتصرفون، هي ملاحظتهم في مختلف **الظروف والوضعيات.**"[25]

كما يستعين هيوم أيضا بمنهج الاستبطان، وذلك باستعمال الملاحظة الداخلية لما يحصل بداخله هو كإنسان من تفكير وعواطف وانفعالات... فيستخدم هنا علم النفس الاستبطاني، والذي يُكمله أيضا بالمنطق من خلال تحليل الأفكار والإدراكات الأخرى.

المنارة للاستشارات

وحتى عندما استخدم هيوم منهج الاستبطان، فإنه لم يخرج عن إطار المنهج التجريبي الذي ألزم الفلسفة به، حيث إنه فسر كل النشاطات الذهنية والنفسية من خلال مذهب تجريبي صارم وكلي، فأرجع كل أفكار النفس وإدراكاتها ومشاعرها وانفعالاتها إلى مصدر تجريبي بحت هو الانطباع(L'impression)، سواء كان انطباع حس أو انطباع تأمل." كان يقصد حل المشكلة عن طريق تكوينه من نظرية الفهم الإنساني معرفة تجريبية للنشاط الذهني." [26]

أما عندما يتعلق الأمر بدراسة النشاطات الخارجية للإنسان، فسيستخدم هيوم في البداية منهج الملاحظة والوصف، لأنه "لا يجب على الفلسفة أن تطرح مشكلات تخيلية ولا أن تُقدم إجابات تخيلية، بل عليها الانطلاق من فعلية ما يُقال ويُفعل، أي من التطبيقات والوقائع."[27]

ولما كان مجال تجربة الإنسان الواحد محدودا جدا، بينما مجال السلوك الإنساني واسع جدا، فسيُكمل عالم الطبيعة البشرية هذا النقص بالاستعانة بعلم التاريخ، لدراسة سلوكات الناس في مختلف البلدان والعصور، والوصول إلى الاطرادات المتكررة، ومن ثم استخلاص القوانين العامة للطبيعة البشرية."ولما كان علم الطبيعة البشرية علما تجريبيا، فالتاريخ هو مادة بنائه. تُستنتج مبادئ الطبيعة البشرية من تجربة الاقتران المتكرر للظواهر الأخلاقية، ومادامت التجربة الشخصية محدودة ومتغيرة عن طريق الفحص، فالتاريخ هو المقياس الوحيد لأعم القوانين."[28]

ويشترط هيوم أن تكون التجارب التي نلاحظها هي التجارب اليومية العادية للناس، لأننا لا نستطيع اختلاق التجارب واصطناعها، لما في ذلك من خطورة على الإنسان، ثم لكي تكون النتائج موضوعية قدر المستطاع."يجب علينا إذن في هذا العلم جمع تجاربنا بشكل كلي من الملاحظة الحذرة للحياة الإنسانية، وتناولها كما تظهر لنا في المجرى الطبيعي للعالم، من خلال تصرف الناس في المجتمع، في انشغالاتهم وفي لذاتهم. وعندما تُجمع التجارب من هذه الطبيعة بمهارة، ويقارن بينها يمكننا أن نأمل في أن ننشئ عليها العلم الذي لن يكون أدنى من العلوم الأخرى من حيث يقينه، والذي سيكون من حيث فائدته أكبر من كل علم آخر تابع للفهم الإنساني." [29]

ج- هو علم وضعي:

المنارة للاستشارات

ثالث خاصية لعلم الطبيعة البشرية هي أنه علم وضعي، والحقيقة أن هذه الخاصية مرتبطة بالخاصية السابقة لأنها مجرد نتيجة منطقية لها، إذ يُوصف هيوم بأنه كان فيلسوفا وضعيا قبل ظهور المدرسة الوضعية وقبل ظهور هذه التسمية. " بحيث إن هيوم يستحق أن نعتبره فيلسوفا وضعيا" [30] وقد ورث هيوم روحه الوضعية البارزة من نيوتن. "بالمقابل من الأساسي ملاحظة أن مشروع علم الطبيعة البشرية ليس له معنى، بل وليس لديه حقيقة إلابالقياس إلى منهجية تجريبية وشبه وضعية، والتي جاءت من نيوتن"[31]

تظهر وضعية هيوم أولا في كونه يرفض البحث عن الماهيات، ذلك أنه يستحيل على الإنسان حسبه أن يعرف الماهيات، سواء تعلق الأمر بماهيات الأجسام أو ماهية الفكر الإنساني، إذ يقول: "لأنه يبدو لي واضحا أنه لما كانت ماهية الفكر مجهولة عندنا تماما مثل ماهية الأجسام، فسيكون من المستحيل أيضا تكوين مفهوم عن قواه وخصائصه إلا عن طريق تجارب مُتقنة ودقيقة، وعن طريق ملاحظة آثاره الخاصة، التي تنتج عن مختلف الظروف (Les circonstances) التييوجد فيها."[32]لأجل ذلك يتخلى هيومعن البحث عن ماهية الطبيعة البشرية، ويعكف على دراسة ظواهرها فقط، الداخلية منها والخارجية.

إضافة إلى ذلك يبين هيوم ضرورة تخلي الفلسفة عن البحث عن المبادئ الأخيرة -أو العلل الأخيرة-، كما زعم الفلاسفة القدامى ذلك، لأن هذه المبادئ بعيدة جدا عن متناول العقل الإنساني. وقد ميز هيوم بين نوعين من المبادئ في العلوم، المبادئ الأخيرة وهي بعيدة ومن ثم مستعصية على الإنسان، ويجب عليه التوقف نهائيا عن الطموح لمعرفتها، ومبادئ قريبة أو بالأحرى تجريبية، وهي تلك التي يمكن اكتشافها وإثباتها بالتجربة، وهذه هي التي يُعوّل هيوم على بلوغها في علم الطبيعة البشرية، "لازمة (Le leitmotiv) هيوم في هذا الصدد هي رفض كل تفسير يزعم كشف الخصائص الأصلية والأخيرة للطبيعة البشرية. يجب أن نعرف كيف نتقيّد بالمبادئ التي يمكنها أن تصبح موضوع إثبات تجريبي." [33]

ويتم ذلك على النحو التالي، يبدأ هذا العلم بحثه بتقصي آثار المبادئ، أي ظواهر الطبيعة البشرية، ثم الصعود منها إلى مبادئها التجريبية. فيستخلص المبادئ من آثارها، وليس العكس كما كان سائدا عند المذهب العقلاني، بمقتضى المنهج الاستنباطي الذي كانت تسلكه.

يؤكد هيوم بأن ما يستطيع عقل الإنسان اكتشافه، هو فقط ما يظهر له في التجربة أي في الظواهر، أما ما لا يظهر له فهو خفيّ عنه، ومن ثم فهو يتجاوز قدرات العقل الإنساني، لذلك يجب عليه التوقف عن غروره الفكري، وتركه جانبا والاقتناع بدراسة الظواهر، لأن هذه الدراسة هي وحدها التي يمكن أن توصلنا إلى علوم دقيقة وموضوعية، لاسيما

المنارة للاستشارات

عندما يتعلق الأمر بعلم الطبيعة البشرية، وهو علم جديد ومستحدث، وما زال بعد في خطواته الأولى.والحقيقة أن العجز عن الصعود إلى المبادئ الأخيرة ليس عيبا خاصا به هو وحده، بل تعاني جميع العلوم الأخرى من هذا العيب، حتى الفيزياء نفسها كما بيّن نيوتن ذلك بكل وضوح. "لا يمكننا تجاوز التجربة، واستحالة التفسير بالمبادئ الأخيرة هو عيب يشترك فيه علم الطبيعة البشرية مع العلوم والفنون الأخرى." [34]

د-علم نسقي:

من أهم خصائص علم الطبيعة البشرية أنه علم نسقي، ذلك أنه يسعى لبناء نسق كامل عن الطبيعة البشرية، "علم نسقي للطبيعة البشرية" [35]، لأنه يطمح إلى دراستها في مختلف جوانبها وبيان مبادئها الكلية. وأكثر من ذلك سيكون هذا العلم الجديد بمثابة نسق لجميع العلوم الأخرى دون استثناء، "وقد حدد هو نفسه هذا الهدف، وذلك بإعلانه في مقدمة **الرسالة في الطبيعة البشرية**، أنه يريد أنيؤسس وانطلاقا من تحليل الفكر نسقا كاملا للعلوم."[36] وذلك بسبب ارتباط كل العلوم به "العلم الذي تتعلق به كل العلوم"[37] وهذه الفكرة بالذات احتفظ بها هيوم من الفلسفة القديمة، فهي التي كانت تعتبر الفلسفة أم العلوم جميعا.وسيبقى علم الطبيعة البشرية عند هيوم هو "العلم الكلي"[38] أو "علم العلوم"[39]كما كانتالفلسفة عند القدماء، فيحافظ بذلك على مكانته المتميزة وسط العلوم الأخرى.

يُقسم هيوم العلوم إلى قسمين كبيرين، وقد اتبع في هذا التقسيم العرف السائد في عصره، فهناك من جهة الرياضيات والفلسفة الطبيعية والدين الطبيعي، ومن جهة ثانية المنطق والنقد والأخلاق والسياسة. يملك النوع الأول من هذه العلوم علاقة كبيرة مع علم الطبيعة البشرية، ذلك أن الإنسان هو الذي يبني هذه العلوم ويطورها، ويُقيّمها ويحكم عليها وذلك من خلال قدراته الفكرية، وبتعبير آخر هذه العلوم هي من إنتاج الطبيعة البشرية، وبالضبط من إنتاج الفهم البشري. وبما أن المنطق وهو الجزء الأول من علم الطبيعة البشرية، يبحث في الفهم البشري ويُبيّن العمليات المختلفة التي يقوم بها أثناء التفكير والاستدلال، ومصدر أفكاره وحدود قدراته، فسيكون في علاقة وثيقة بكل العلوم، حتى العلوم غير الفلسفية، بل وسيكون جد مفيد لها، لأنه يشرح لها طبيعة استدلالاتها وخصوصيتها وقيمة معارفها وحدودها. "من المؤكد أن كل العلوم لديها علاقة كبيرة أو صغيرة بالطبيعة البشرية، ومهما بدا أن أحدها يبتعد عنها، إلا أنه يرجع إليها مع ذلك بطريقة أو بأخرى. تتعلق إذن الرياضيات

المنارة للاستشارات

والفلسفة الطبيعية والدين الطبيعي تتعلق هي ذاتها وإلى حد ما بعلم الإنسان، لأنها تكون في متناول المعرفة الإنسانية، ونحن نحكم عليها بواسطة قدراتنا وملكاتنا."[40]

أما النوع الثاني من العلوم فعلاقته بعلم الطبيعة البشرية أوضح وأقوى، لأنها أجزاء له، فهي علوم فلسفية بامتياز، كما شرحنا ذلك سابقا. "لا ينكر هيوم أن العلوم التي لديها علاقة مع الطبيعة البشرية يمكنها أن تكفي ذاتها بذاتها، ولما كان وفيا لتقسيم قديم فقد قسمها إلى نوعين: توجد من جهة الرياضيات والفلسفة الطبيعية والدين الطبيعي، التي تهدف إلى معرفة مختلف أنواع الموجودات وهي مرتبطة بعلم الإنسان، من حيث أنها تتعلق بفهم هذا الأخير. توجد من جهة أخرى الفنون الإنسانية (المنطق، الأخلاق، النقد والسياسة)، التي تهمنا في حدود أنها تستطيع أن تفيد فهمنا، حسنا الخلقي، ذوقنا، وحياتنا في المجتمع." [41]

ك- علم مضاد للميتافيزيقا:

اشتهر هيوم بمعاداته للميتافيزيقا، وهذا بسبب نزعته الوضعية المفرطة "التوجه الوضعي والمضاد للميتافيزيقا عند هيوم."[42] وذلك لأنه لم يرى فيها سوى قضايا وهمية وباطلة أضاعت جهد الفلاسفة عبثا، لذلك فإنه يرى أنه "يجب أن يقوم علم الطبيعة البشرية على أنقاض أوهام الميتافيزيقا."[43] وتبعا لذلك جعل أحد المهام الرئيسية لعلم الطبيعة البشرية محاربة الميتافيزيقا والقضاء عليها."تستند صرامة مشروع الطبيعة البشرية إلى الرفض القطعي للبنى الوهميةللميتافيزيقيين."[44]

إلا أن هيوم لا يرفض كل ميتافيزيقا، بل يقسمها إلى قسمين ميتافيزيقا وهمية وخرافية وفارغة والتي تقوم على أوهام المخيلة فقط، وهي التي يجب علينا محاربتها وطرحها من الفلسفة، وميتافيزيقا إيجابية ومقبولة ونافعة وهي الميتافيزيقا التجريبية التي تستند في كل قضاياها إلى التجربة، وهذه بالضبط الميتافيزيقا التي طمح هيوم إلى تأسيسها."يهدف هيوم إلى إنشاء فلسفة جديدة ستمثل بالنسبة إلى الفلسفة الأخلاقية، ما تمثله مبادئ نيوتن بالنسبة إلى الفلسفة الطبيعية، ستكون ميتافيزيقا تجريبية حقيقية، والتي ستُحارب بنجاح الجدالات اللفظية والوهم."[45]

ولهذا لم يتحرج هيوم أبدا من تسمية علم الطبيعة البشرية "ميتافيزيقا"[46]، ولكن بالمعنى الذي حدده هو. "يقصد هيوم إنشاء الفلسفة علىأسس جديدة، ولا يتردد في تسميتها ميتافيزيقا." [47]

المنارة للاستشارات

ويضيف هيوم إلى موقفه المعادي للميتافيزيقا موقفا معادٍ للاهوت، وهو في الحقيقة مُكمل له فقط. حيث يُحرم على علم الطبيعة البشرية كل انزلاق نحو المسائل اللاهوتية، "لا يمكننا الخروج من التجربة واستطرادها، لا يمكننا القفز من الآلي إلى اللاهوتي. يجب أن يُعاد المجهول وبالكلية إلى غموضه." (48)

ويُبين هيوم أن الطريقة الوحيدة لتفادي انزلاق الفيلسوف نحو الميتافيزيقا أو اللاهوت، هي التزامهبحدود التجربة وعدم تجاوزه لها مطلقا. **"الرسالة في الطبيعةالبشرية** تنكر كل توسيع للعقل خارج التجربة، وهي على صواب في ذلك." (49)

م- علم نقدي:

يتميز علم الطبيعة البشرية بأنه علم نقدي، وأول ما طمح هيوم لنقده هو الفهم البشري وذلك من أجل بيان قدراته وحدوده، ومن ثم مدى مشروعية معارفه والحدود التي لا ينبغي له تجاوزها."سيسمح هذا العلم بمعرفة نطاق وحدود فهمنا، وتجنب الجدالات الباطلة والنزاعات الفارغة." (50)

وواضح أن هيوم قد ورث هذا المشروع النقدي من سلفيه لوك (1632-1704)Jhon Locke وباركلي (1658-1753) George Berkeley. "في البداية يبدو أن هذا المشروع يتوافق جزئيا مع الخطة النقدية للوك، وهي فحص نطاق وحدود الفهم البشري، وقد استعاد عددا من وسائله المفاهيميه، مثل نظرية الأفكار، نظرية الدلالة، وتصور البرهنة. دون أن ننسى المذهب الاسمي الأساسي، وهو في الحقيقة مبدأ الفكر الكلاسيكي" (51).

لكن هيوم سيختلف عن لوك وباركلي، لأنه سيُوسع نقده ليشمل المعرفة ككل بل والفلسفة بأسرها واللاهوت كذلك."وانزلقنا بذلك من مشروع التحليل النقدي لقدراتالمعرفة إلى تحليل نقدي للمعرفة عموما، والذي تحول إلى عدة علوم." (52) بل وسيمتد النقد من مجال المعرفة والعلوم إلى مجال الفعل والعمل."فلسفة هيوم... [هي] نقد للمعرفة ولكل النشاطات الإنسانية الأخرى." (53)

ويرفض هيوم بذلك تلك المكانة المميزة التي منحها الفلاسفة قبله للفلسفة، باعتبارها علما فوق كل العلوم الأخرى، ومن ثم استغنائها عن المساءلة والنقد، بالعكس يجب أن تخضع الفلسفة عنده مثل كل علم آخر للنقد وفي كل مسائلها، فهذا هو الضامن الوحيد لصحة نتائجها."يُعرَّف العقل بأنه قوة نقدية تفرض علينا أن نفحص كل يقين، وأن نُحلل كل بداهة، ويجب عليه أن يُخضع كل حكم وكل فعل لا لقانونه الخاص، والذي سيعرفه

المنارة للاستشارات

أثناء إدراكه الخاص لذاته، ولكن إلى قانون الطبيعة، أو بدقة أكبر إلى الطبيعة التي أصبحت قانونا في ذاتها، لأن العقل هو القدرة التي تملكها الطبيعة لكي تنعكس على ذاتها باعتبارها قاعدة، لذلكفالفلسفة التأملية هي العلم النقدي للطبيعة ." [54]

ى- علم شكي:

آخر خاصية لعلم الطبيعة البشرية هي الشكية، إذ "سيكون هذا العلم مذهبا شكيا خالصا."[55] حيث عُرف عن هيوم بأنه كان فيلسوفا شكيا، لكنها شكية جد متميزة في التاريخ سواء عن الشك المطلق للفلاسفة اليونانيين القدامى أو الشك المنهجي لديكارت. "يُنشئ هيوم علم الطبيعة البشرية الذي ستكون التجريبية وجهه والشكية ظهره." [56] صحيح أن هيوم شك في قدرات العقل الإنساني، لكنه كان يثق في التجربة. "هذه الشكية التي تكون نقدية اتجاه الملكات الإنسانية، تصاحبها ثقة كاملة بالتجربة."[57]

لم يكن الشك عند هيوم قراراإراديا كما كان الحال عند ديكارت، "لكن الشكية ليست أمرا عرضيا متعلقا بإرادة الإنسان أو مزاجه، إنها التطورالجذري والمنطقي لمعضلات وكمونات العلم التجريبي."[58] بالعكس كان الشكعنده نتيجة حتمية لمذهبه التجريبي الجذري. "شكية هيوم هي النتيجة القوية لتجريبيته الكلية." [59] ذلك أننا عندما نلتزم التجربة بكل دقة فإننا سنعجز عن الوصول إلى اليقين، لأن التجربة نسبية وجائزة وناقصة على الدوام. "وأيضا الاعتراف بأنه عندما يمضي المذهب الحسي إلى آخر نتائجه، فسيكون عاجزا عن تكوين علم يقيني." [60]

الخاتمة:

النتيجة التي يمكننا استخلاصها بكل وضوح في نهاية هذه المقالة، هي أن هيوم قدم مفهوما جد أصيل عن الفلسفة، لأنه مفهوم جديد حقا ولم يسبقه إليه أحد من الفلاسفة قبله. كما أنه مفهوم مهم جدا لأنه يمثل ثورة حقيقية في تاريخ الفلسفة، حيث إنه قضى فيه على تصور قديم جدا طال أمده قرون طويلة جدا، وأسس بالمقابل لا لتصور واحد فقط ولكن لتصورات كثيرة، حيث سينحدر من تصور هيوم للفلسفة عدة تصورات جديدة، ابتداء من الفلسفة الحديثة وحتى الفلسفة المعاصرة، بالرغم من تباينها الشديد فيما بينها، مثل الفلسفة النقدية، المدرسة الوضعية، الفينومينولوجيا، الظاهراتية، الوضعية المنطقية، كل هذه الفلسفات تأثرت بمفهوم هيوم للفلسفة، بقليل أو بكثير، بطريق مباشر أو غير

المنارة للاستشارات

مباشر، وكل واحدة منها انطلقت من جانب من جوانب هذا التصور، وركزت عليه وطورته في الاتجاه الخاص بها."حاولت عدة مشاريع من بعده، منذ كانط إلى الفينومينولوجيا، وإلى الوضعية المنطقية، بل وحتى الفلسفة التحليلية، حاولت إعادة بناء الفلسفة كعلم نقدي صارم، بالاستناد إما إلى العلم، وإما بفك رموز البُنى المتعالية أو المعيارية، أو إلى اللغة أو فهم الماهيات أو المقولات".(61)

فكانط (1724-1804) Emmanuel Kant مثلا سينطلق من فكرة الميتافيزيقا التجريبية التي دعا إليها هيوم، ويستخرج منها فكرة ميتافيزيقا التجربة التي ترفض الأنطولوجيا القديمة وتطمح لأن تكون علما، فيلتقي هيوم وكانط هنا في نقاط مهمة جدا، وهي ضرورة القضاء على الميتافيزيقا الدوغماتية الفارغة والباطلة، والتأسيس لميتافيزيقا جديدة ترتقي إلى مستوى العلم، وأيضا ضرورة الالتزام الدقيق بالتجربة في هذه الميتافيزيقا الجديدة، أولا بالانطلاق منها ومنها فقط، ثانيا بالحرص على عدم تجاوز دائرة التجربة أبدا، لتجنب الانزلاق إلى الأوهام الميتافيزيقية أو اللاهوتية.

نتذكر أن هيوم قد اشترط على الفلسفة أن تكون علما نقديا، وقد أثرت هذه الفكرة المهمة جدا بقوة في كانط، الذي يبدو أنه قد استوحى فكرة الفلسفة النقدية من علم الطبيعة البشرية لهيوم، "هذه الميتافيزيقا الحكيمة، بل والخجولة، التي تخشى أولاوقبل كل شيء من الانحرافات الخطيرة للفكر... هي التي ألهمت كانط في نقده"(62)

غير أن كانط يختلف عنه لأنه لا يتوقف عند مذهب الشك، كما فعل هيوم ذلك، ويعتبر الشك لحظة جد هامة في تطور الفكر الفلسفي، وهي التي تحرره من الدوغماتية، ويهنئ هيوم لأنه قام بهذه المهمة على أكمل وجه، لكن الشكية لا تمثل الكلمة الأخيرة في الفلسفة، والتي يجب أن تعود إلى الفلسفة النقدية، وهي لحظة تجاوز الفلسفتين الدوغماتية والشكية معا، وآخر مرحلة تصل إليها الفلسفة أثناء تطورها. زيادة على ذلك احتفظ كانط من هيوم بضرورة خضوع الفلسفة ذاتها للنقد، لأنه يجب عليها أن تمارس النقد على ذاتها، وهذا هو أهم وأخطر نقد في مجال الفلسفة وأكثرها نفعا.والأهم هو أن نقد الفلسفة وادعاءاتها ينطلق من نقد الفكر وبيان قدراته وحدوده.

لم يقتصر تأثير هيوم على كانط، بل امتد إلى معظم الفلاسفة بعده، فأوغست كونت (1798-1857) Auguste Comte مثلا سينطلق من فكرة وضعية الفلسفة ويُطورها لأبعد حد فيُنشئ المدرسة الوضعية، ويعترف صراحة بمدى تأثير هيوم عليه. بينما ركز هوسرل (1859-1938) Edmund Husserlعلى المنهج الوصفي للظواهر، وطبقه أثناء دراسته للوعي،

المنارة للاستشارات

فأسس الفينومينولوجيا. أما الوضعية الجديدة فإنها توقفت مطولا عند فكرة علمية وتجريبية الفلسفة، وضرورة محاربتها للميتافيزيقا وللاهوت، ومضت بها في اتجاه جديد حيث استخدمت فلسفة اللغة والمنطق الرياضي لتمحيص القضايا الفلسفية من كل الأوهام، وتُكّن هذه المدرسة كل الاحترام والتمجيد لهيوم، ويحلو لها أن ترى فيه سلفها الأول.

فضلا عن كل ذلك يملك علم الطبيعة البشرية لهيوم أهمية قصوىعلى صعيد آخر جد مختلف، حيث إنه كان الأرضية الخصبة التي انطلقت منها العلوم الإنسانية والاجتماعية، لأن تحويل هيوم لموضوع الفلسفة من الوجود المجرد إلى الإنسان في مختلف جوانبه، أعطى دفعة قوية جدا للعلوم الإنسانية والاجتماعية،خاصة وأن القرن الثامن عشر يمثل لحظة جد حاسمة بالنسبة إليها، لأنها بدأت في النشأة خلال هذا القرن بالذات. وسيساهم هيوم مساهمة فعالة وقوية جدا في نشأة هذه العلوم الجديدة، من خلال مشروعه في علم الطبيعة البشرية، الذي سينبثق منه علم النفس،علم الاجتماع، علم الاقتصاد، علم الجمال، علم التاريخ وعلم السياسة....الخ "العلم الأولي الشكي، الذي يُخضع الظواهر الأخلاقية للتجربة، سيُحرر العلوم الإنسانية، ويفتح فيها مجالا جديدا للمعرفة. لا تكمن عظمة هيوم فقط في أنه بنى نظرية المنهج التجريبي، ولكن في أنه جعل من الممكن تطبيقها على مواضيع كانت تفلت منها حتى الآن... هيوم ... لعب دورا أكثر أو أقل أهمية في تطور علم النفس وعلم الاجتماع السياسي أو الديني، والاقتصاد أو التاريخ خلال القرن الثامن عشر."[63]

الهوامش:

1- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie*. Paris , Presses Universitaires de France, 1983, 1ere édition. P33.

2- Ibid. p17.

3- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. Paris , Librairie Philosophique J.Vrin, 1984. P33.

4- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie*. P 47.

5- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Traduction, Préface Et Notes d'AndréLeRoy. Paris, éditions Montaigne, 1962. Tome 1, Introduction, p 59.

6- David Hume. *Enquête Sur L'Entendement Humain*. Traduction, Préface Et Notes d'André LeRoy. Paris, éditions Montaigne, 1947. Section I, P 39.

7- ibid.

المنارة للاستشارات

8- Ibid.Section XI, p 198.
9- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 62.
10- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie*. P 39.
11- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P13.
12- Ibid. p 31.
13- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Traduction, Préface Et Notes d'André LeRoy. Paris, éditions Montaigne, 1962. Tome 1, Préface du traducteur, p33.
14- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie*. P 6.
15- Ibid. p 258.
16- Ibid. p 14.
17- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Tome 1, introduction, p 59.
18- ibid.
19- - Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 29.
20- Gilles Deleuze. *Empirisme et Subjectivisme. Essai sur la nature humaine selonHume*. Paris, Presses Universitaires de France, 1953, 8eme édition. P 136.
21- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. Paris, Ernest Thorin, Editeur, 1873. P 358.
22- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 137.
23- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 47.
24- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 17.
25- Ibid. p 17.
26- Ibid. p 274.
27-ibid. p 18.
28-Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 252.
29- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Tome1, Introduction. P 62.
30- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. P 474.
31- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .pp 57- 58.
32- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Tome1, Introduction, P 60.
33- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 51.
34- Ibid. p 22.
35- Ibid. p 273.
36- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. P 16.
37- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 15.
38-Ibid. p15.
39- Ibid. p19.
40- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Tome1, Introduction. P 59.
41- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*.p 61.
42- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 101.
43- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 219.
44- Ibid. p 261.
45- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 17.
46- David Hume. *Enquête Sur L'Entendement Humain*. Section IV, P 76.
47- BIbid. p 21.
48- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 54.

المنارة للاستشارات

49- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. P 489.
50- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 61.
51- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 6.
52- Ibid. p 14.
53- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Tome1, Préface du traducteur, Pp8- 9.
54- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 28.
55- Ibid. P 100.
56- Ibid. p 18.
57- Ibid. p 25.
58- Ibid. p 45.
59- Ibid. p 24.
60- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. P 92.
61- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie* .p 9.
62- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. P 349.
63- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. P 240.

قائمة المصادر:

1- David Hume. *Enquête Sur L'Entendement Humain*. Traduction, Préface Et Notes d'André LeRoy. Paris, éditions Montaigne, 1947.
2- David Hume. *Traité De La Nature Humaine*. Traduction, Préface Et Notes d'André LeRoy. Paris, éditions Montaigne, 1962. Tome 1.

قائمة المراجع:

1- Gabriel Compayré. *La Philosophie De David Hume*. Paris, Ernest Thorin, Editeur, 1873.
2- Gilles Deleuze. *Empirisme et Subjectivisme. Essai sur la nature humaine selonHume*. Paris, Presses Universitaires de France, 1953, 8eme édition.
3- Michel Malherbe. *La Philosophie Empiriste De David Hume*. Paris, Librairie Philosophique J.Vrin,1984.
4- Yves Michaud. *Hume et la fin de la philosophie*. Paris, Presses Universitaires de France, 1983, 1ere édition.

المنارة للاستشارات